الحياة المدرسية وتأثيراتها في تنمية المهارات الحياتية والوعي الصحي والبيئي في المدرسة المغربية

الباحث محمد كركوب
باحث في سلك الدكتوراه، تخصص علم الاجتماع، مختبر الإنسان المجتمعات والقيم،
بإشراف د. محمد سلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، المغرب.

تقديم:

إذا كانت المدرسة في مجال العلوم الإنسانية عامة والسوسيولوجيا تحديدا بمثابة مؤسسة اجتماعية يناط لها التأطير التربوي والتدبير الإداري والدعم النفسي الاجتماعي، من خلال مختلف العمليات الصفية وغير الصفية، ومعظم التفاعلات الاجتماعية (ما بين الأستاذ والتلميذ بالتلميذ، الأستاذ وزملائه، والإداريين)، فإنها أيضا مؤسسة سياسية وثقافية واقتصادية أيضا، إلا أنه في ظل التغيرات والتحولات السريعة إن على المستوى الوطني أو العالمي، فإن النقاش اليوم أخذ مسارات جديدة حول سبل تطوير وتنمية مهارات المتعلمين بشك أكثر تطورا وتقدما، ولعل هذا ما تسهم فيه بشكل ملفت مختلف الأطر الفاعلة في المؤسسة التعليمية عبر مختلف الأنشطة والتدخلات التربوية، سواء تعلق الأمر بتصريف المنهاج الدراسي للمواد أو معظم الأنشطة التربوية التي تقوم بها الأندية التربوية في محطات متعددة.

لقد أخذت المدرسة المغربية في عالمنا اليوم أدوارا بيداغوجية وتربوية يمكن أقول عنها على أنها متجددة على مستوى الرؤية والتخطيط المدرسي رغم ما يرافقها من صعوبات وعراقيل عدة. حيث لم يعد الأمر يقتصر على المعارف والأفكار في صفوف المتعلمين بقدر ما دعت الوزارة عبر مذكراتها ومراسيمها لجعل المتعلم محور رئيسا في مختلف العمليات التي ترافقه في المؤسسة التعليمية، وهو ما سنركز عليه في هذه الورقة العلمية من خلال الوقوف عند أهمية المدرسة والأندية التربوية في تنمية المهارات الحياتية للمتعلمين خاصة في مرحلة الثانوي التأهيلي، خاصة وأنه كما يبدوا لنا على أن هذه الأندية من شأنها أن تمثل فضاءات ملائمة لتنمية المهارات الحياتية للتلاميذ لكونها تشتغل وفق مبدا الحرية في المشاركة بين هذه الفئة في المؤسسة التعليمية بعيدا عن البرامج الرسمية التي تفرضها المواد الدراسية، لذلك يمكن أن نتساءل هنا عن الأدوار التي تقوم بها هذه الأندية المدرسية التربوية في تنمية المهارات الحياتية للمتعلمين؟ وما هي الوسائل التي تعتمدها هذه الأندية في ربط التلاميذ بالحياة عبر مختلف الأنشطة التي تقدمها لهم؟

لابد من الإشارة بداية، على أنه قبل الحديث عن أدوار وأساليب الأندية المدرسية التربوية في تنمية المهارات الحياتية، وجب الوقوف عند تعريف للمدرسة والمهارات الحياتية والأندية التربوية والتربية البيئية بشكل مختصر بغية وضع الموضوع في سياقه العلمي العام والخاص.

أولا: تحديدات مفاهيمية

قدمت العديد من التعاريف الخاصة بالمدرسة، والمهارات الحياتية والأندية التربوية كل حسب تخصصه العلمي، سيما في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، لذا سوف نستحضر بعضها بشكل محدد ودقيق وهادف، ولن نقف عند ما كتب في هذا السياق بشكل مفصل.

1. المدرسة

لغويا، في **معجم لسان العرب** تشتق كلمة مدرسة من فعل (دَرَسَ) الكتاب، يدرسه درسا، ودراسة. ودارسه، من ذلك كأنه عانده، حتى انقاد لحفظهن، وقد قرأ بهما. وليقولوا درست، وليقولوا دارست. وقيل درست، قرأت كتب أهل الكتاب. ودارست ذاكرتهم. وقرأ: درست ودرُست، أي هذه الأخبار، قد عفت وامحت ودرُست أشد مبالغة.

والمِدْرَاس والمِدْرَس: الموضع الذي يدرس فيه. والمِدرس الكتاب، والمِدَارس: الذي قرأ الكتب ودرسها، وقيل المدارس الذي فارق الذنوب، وتلطخ بها من الدَّرس وهو الجرب[1].

أما **في معجم الوسيط**، نجد: (دارس) الكتاب ونحوه: مدارسة، ودراسا: درسه. و–فلانا: قارأه وذاكره. و–الذنوب: قارفها. (دَرَّسَ) الكتاب ونحوه: درسه.

(المِدْرَسُ): الموضع يَدْرس فيه، (ج) مدارس. و (المدرسة): مكان الدرس والتعليم

(المِدْرسةُ): مكان الدرس والتعليم[2].

بينما نجد المدرسة في التعريف الاصطلاحي فتعرف المدرسة تبعا للتخصصات العلمية، خاصة في ميدان العلوم الإنسانية بكونها فضاء للتعلم والتربية والتعليم، لذلك فالمدرسة حسب دوركايم يمكن اعتبار وجودها من المجتمع وإليه، إذ يعتبر أن التربية "محايثة للطبيعة الإنسانية، والتعليم متمركز حول الإنسان"[3]. مقاربا بذلك المدرسة من خلال وظيفتها الاجتماعية، المتمثلة في التنشئة الاجتماعية، على اعتبار أن الفعل البيداغوجيي موجه للطفل عبر تمرير مجموعة من الأفكار والمواقف، وبالتالي فهي "تضع مجموعة من القواعد لتوجيه سلوك الطفل، وخلق علاقات سلطة بين المعلم والمتعلم"[4].

في اتجاه آخر يرى بيير بورديو أن الوضع الطبقي يجعلنا أمام نوعين من الممارسات التعليمية، والمدرسين في المدارس هم الأكثر دراية بهذا الأمر كونهم يحسون بذلك بشكل كبير، وأن المتعلم لا يحظى بنفس النمط من التعليم الذي يقدمه المكان المخصص لذلك، كون "الثقافة التي يتلقاها المتعلم في المدرسة الفرنسية الرأسمالية ليست ثقافة موضوعية أو نزيهة ومحايدة، بل هي ثقافة مؤدلجة تعبر عن ثقافة الهيمنة وثقافة الطبقة الحاكمة، ومن ثم فليست التنشئة الاجتماعية تحريرا للمتعلم، بل إدماجا له في المجتمع في إطار ثقافة التوافق والتطبع والانضباط المجتمعي، وبالتالي، تعيد لنا المدرسة إنتاج الطبقات الاجتماعية نفسها عن طريق الاصطفاء والانتقاء والانتخاب. ومن ثم، فهي مدرسة اللامساواة الاجتماعية بامتياز"[5].

في حين ركزت إذ ركزت فلسفة جون ديوي التعليمية على الجوانب الدينية والأخلاقية والمعلوماتية، منتقدا الطريقة التي تعمل عليها المدرسة في ما يتعلق بالأهداف التعليمية التي اعتبرها على أنها تتغير تبعا للظروف والوقائع الاجتماعية والاقتصادية التي تعرفها المجتمعات بشكل مستمر وسريع، ويقول "إننا ميالون إلى النظر إلى المدرسة من وجهة نظر فردية بوصفها شيئا بين المعلم والطالب، أو بين المعلم والوالدين، لأن أكثر ما يثير اهتمامنا هو –بالطبع– التقدم الذي يحرزه طفل من معارفنا في نموه الجسدي الاعتيادي وتقدمه في القدرة على القراءة والكتابة والحساب ومعلوماته في الجغرافية والتاريخ وتحسن طباعه وعاداته في التهيؤ والاستعداد للأشياء، وفي النظام والمواظبة، فبمثل هذه المعايير نقيس عمل المدرسة، وإننا على حق في هذا"[6].

وعموما، لا يمكن الوقوف عند جل ما قدم من تعريف عن المدرسة، إذ المقام هنا لا يستقيم بذلك، وتبقى المدرسة من الناحية الإجرائية على أنها هي الفضاء العام والخاص لممارسة الفعل التعليمي ومساعدة التلاميذ على تنمية المهارات ورسم الوعي البيئي والصحي تجاههم، وذلك من خلال تسخير كل الإمكانات والعمليات التي يتزود بها الفرد من طرف جل الأطر والفاعلين لتلقي تربية بيئية سليمة.

2. الأندية المدرسية التربوية

يكون النادي فضاء واسعا ومختلف عن تعلمات الفصل، إذ يعمل على مساعدة المتعلمين على منحهم وقتا كافيا من ضغوطات البرامج والمناهج والدروس التي يرونها داخل الفصول الدراسية، ويمكن القول إنه ذلك المكان الذي يكمل للمتعلم التعلمات خاصة وأنه مبني على على التطوّع والرغبة الذاتيّة، فإنّه ينشد تنمية مجموعة من الخبرات والميول والاهتمامات التي تساعد التلاميذ على تنمية مهارات الاندماج في المجتمع بيسر وسهولة، مما يسهلم عليهم إيجاد حلول للمشاكل التي تواجههم في حياتهم اليوميّة في الوسط والمدرسيّ وخارجه. إنه بهذا المعنى "فضاء تربوي وتأطيري لاكتشاف المواهب وتطوير مؤهلات وكفاءات المتعلمين في مختلف المجالات، وإذكاء روح العمل الجماعي فيما بينهم عبر التواصل والممارسة الميدانية واكتساب أساليب وتقنيات البحث دعما لدور المؤسسات التعليميّة الإشعاعي والتنويري، وهو مجال لحفز الأطر التعليميّة والإدارية على استثمار قدراتها في مجالات التنظيم والتأطير والتنشيط التربوي والثقافي والاجتماعي"[7].

تمنح الأندية التربوية فرصا للمتعلم لصقل المواهب وتنمية المهارات التعلمية والتعليمية، فهي المكان الذي يحاول فيه المتعلم أخذ قسط من الحرية بشكل منضبط في جو بعيد عن التقيد بالبرامج والمواد التعليمية وإكراهات الامتحانات والواجبات المدرسية، فهي مساحة أيضا للتفاعل بين كافة الأطر التربوية والإدارية والمتعلمين، مما يسمح لهذه الفئات ككل وخاصة التلميذ بالاستجابة الفعلية لتحديات الحياة الدراسية والمهنية، بل وحتى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بشكل عام،

يمكن القول، إن مفهوم النادي جزء من الحياة المدرسية la vie scolaire"، الذي يعني ذلك الإطار "لتنمية شخصية التلميذ ومواهبه للتمرس بالعيش الجماعي، تتجسّم فيه علاقات تربويّة بين المتعلمين من ناحية وبينهم وبين أطراف الأسرة التربوية من ناحية ثانية، وهي علاقات تقوم على مبادئ الاحترام والإنصاف والموضوعيّة وتلازم الحقوق والواجبات. وتتمثل الحياة المدرسية، بوصفها امتدادا للتعلمات في الفصول فيما يتعاطاه التلاميذ من أنشطة تربوية وثقافية وترفيهية ورياضية وما يسدى لهم من خدمات اجتماعيّة وصحية في انسجام مع رسالة التربية"[8].

إن الحياة المدرسية، تتمثل في جملة من الأنشطة التي تعمل على إكساب المتعلمين العديد من المهارات والقدرات التي تساعدهم على بناء الشخصية في مختلف مواقفها وظروفها، فهي بهذا المعنى تسمح للفرد داخل المؤسسات التعليمية، خاصة الإعدادية والتأهيلية بتقوية روابط علائقية مع باقي الأطراف من أطر وتلاميذ ومجتمع خارجي، فما تقدمه الأندية التربوية الفاعلة يكون دافعا لتقوية التعلمات التي تلقاها المتعلم في الفصل الدراسي، كما أنها تسهم في تربية الأشخاص على تنمية الوعي الصحي والبيئي، أي أنها بمثابة عنصر مكمل لها، ومن تم تكون الحياة المدرسية في هذا الجانب الذي تحتضنها النوادي التربوية فضاء أوسع وأرحب للجميع، وهي بذلك "تجسد أهم وظائف المدرسة، أي أنها تشبه الحياة الواقعية وتحاكيها في أفق تحويل قيم المدرسة إلى الواقع"[9].

لذلك فالمساهمة الفعالة للأندية التي تشتغل بشكل فعلي يشارك فيها المتعلم في مراحل اقتراح وإعداد الأنشطة والاسهام فيها يعطي دفعة قوية لتنمية المهارات الشخصية والحياتية، ويعمل على توطيد العلاقات المدرسية بين المتعلمين والأطر الفاعلة التربوية والإدارية، كما أنها تنم الحس الاجتماعي والثقافي والبيئي في صفوف المتعلمين.

3. المهارات الحياتية

ارتبطت المهارة بفلسفة الحياة العامة للإنسان، فهي تدل على عملية اتقان شيء أو قضية أو حرفة أو عمل...، إلى غير ذلك من المواقف والموضوعات والأشياء، كما أنها لا ترتبط بشخص دون آخر، أي أن المهارة ليست واحدة، وبهذا المعنى تعد المهارة بأنها "إتقان ينمى بالتعلم وقد تكون حركية كما في ركوب الدراجات، أو لفظية كما في التسميع والكلام، أو مزيجا من الاثنين كما هو الحال في الكتابة بالآلة الكاتبة"[10]، أما المهارات الحياتيّة les aptitudes à la vie quotidienne.

تمثل المهارات الحياتية تلك القدرات والكفايات التي تسمح للأفراد التفاعل مع مختلف المواقف التي توجد في الحياة اليومية المختلفة، بحيث تتسمع غالبية العلاقات بالتواصل مع الذات الأخرى، فينبغي من قبل أن يكون الفرد على دراية بمجموعة من المهارات الحياتية في علاقته بالآخر، خاصة وأن "اتخاذ موقف إيجابي من الآخر يعني التفاعل معه والإقرار بالتنوع والتسامح الذي هو ترجمة لقناعة مفادها أن تعدد الآراء مشروع وأن التباين في الفكر يضفي على الأفكار والأشياء معنى وثراء في حياة الناس"[11].

تعبر الحياة الإنسانية بضرورة التكيف والاندماج في المجتمع الذي يتميز بقيم محلية وكونية، ويمكن الأفراد من ضرورة التعبير بغية تأكيد انتماءه للجماعة عبر اللفظ والسلوك، لذلك نجد منظمة الصحة العلمية ترى بأن المهارات الحياتية، هي "القدرة على القيام بسلوك تكيفي وإيجابي يمكن الفرد من التعامل بفعالية مع متطلبات الحياة اليومية وتحدياتها، وهي قدرة الفرد على المحافظة على حالة من الرفاه الذهني من خلال تبني سلوك ملائم وإيجابي عند إقامة علاقة مع الآخرين"[12].

في جانب آخر، يذهبان الباحثان غريسي ومليتي، إلى اعتبار المهارات الحياتية مقاربة لتغيير السلوك أو لتنميته بغية إيجاد توازن بين "ثلاثة أبعاد: المعرفة la connaissance، والموقفL'attitude، والمهارات les aptitudes"[13]، حيث إذا أردنا أن تكون للمهارات الحياتية أهمية أساسية ومكون من مكونات براديغم التعلم le paradigme d'apprentissage، يجب أن نراعي التناسق بين ثلاثة أبعاد[14]:

- بعد المهارات، مثل اتخاذ القرار الذي ينطوي على تنمية الفكر الإبداعيي والفكر النقدي.
- بعد المحتوى، والذي يفترض مسبقا، مثلا في حالة استهلاك المواد المؤثرة عقليّا أو في حالة الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية، اكتساب المعارف الأساسية التي ستسهم في تنمية القدرة على اتخاذ القرار.
- بعد الطرق/ الأساليب، مثل التواصل مع الآخرين والتي تكتسب عبر التفاعل والتبادل مع الآخرين وليس من خلال درس أكاديمي.

من بين المسلمات والأدوار الوظيفية للمدرسة هو إعداد الفرد للحياة المهنية، لذلك فهي تمثل مسألة أساس في مسار المتعلمين، وهو الأمر الذي يجعل من المدرسة فضاء مسؤولا لمساعدة المتعلمين من أجل أن يشغلوا مناصب ووظائف متعددة في المجتمع، ولهذا فإن المدرسة تعمل في الجانب البيداغوجي والمعرفي في إكساب المتعلمين المهارات الحياتية، كما نجد أنها تمارس توجيها مهنيا في مختلف برامجها التي يحتاجها المجتمع، ذلك أن"التوجيه المدرسي يحضر للتوجيه المهني الذي لا يمكنه أن يتم بشكل صحيح إلا إذا وصل الفرد إلى النضج الكافي"[15]، ومن هنا يمكن النظر إلى نوع من النمو المهني لدى المتعلم، بحيث تسهم البرامج الدراسية والبيداغوجية وما يتعلق بالحياة المدرسية، إضافة إلى اللقاءات الداخلية والخارجية للمؤسسة التعليمية من تمكين المتعلمين بشكل مباشر أو غير مباشر من المسارات المهنية المتاحة لهم.

4. التربية البيئية الصحية

تعد التربية البيئية جانب من خلق الوعي الصحي والبيئي، لذلك فهي تمثل العملية التربوية التي يتحقق عن طريقها رفع مستوى هذا الوعي في صفوف الأفراد والجماعة أيضا، وعن طريقها يكتسب التلميذ في المؤسسة التعليمية تحديدا المعلومات والخبرات والقيم والاتجاهات، والتي تؤثر في سلوكاتهم وميولاتهم البيئية والصحية، كما أنها تجعلهم يعيشون في حياة سليمة وخالية من المشاكل والصعوبات البيئية سواء في المدرسة أو المحيط الاجتماعي، ولذلك نجد برتشارد يعرفها على أنها "عملية إدراك قيم وتوضيح مفاهيم بهدف تطوير المهارات والاتجاهات اللازمة لفهم العلاقة المتبادلة بين الإنسان وثقافته ومحيطه الطبيعي وتقديرها، وتتطلب التربية البيئية أيضا التدريب على اتخاذ القرارات وتكوين أطر مسلكية ذاتية حول قضايا تتصل بالتوعية البيئية"[16].

من جانب آخر، تعبر التربية البيئية الصحية عن مجموعة من الخبرات التي تعمل على إكساب التلامذة قدراً من المعلومات والعادات والاتجاهات الصحية الايجابية، والتي ينبغي أن تكون منبثقة من تقاليد المجتمع وقيمه، ومنسجمة مع المفاهيم الصحية، وهو ما يجعلنا نرى على

أنها "عملية تربوية موجهة لكافة شرائح المجتمع، لتعديل سلوكهم نحو البيئة وتساعدهم على اكتساب معلومات وقيم حولها لفهم العلاقات المعقدة بين الإنسان وبيئته ومحاولة إيجاد حلول لمشاكلها"[17].

وفي هذا السياق، نود الإشارة على أن هذا النمط من التربية يسعى إلى إكساب المتعلمين كذلك ثقافة صحية عامة، وتسهم التربية البيئية لربط الأفراد بسلوكاتهم اليومية عبر تزويدهم بالعادات الصحية البيئية والمهارات التي ترافق هذه العملية، وذلك حتى تصبح جزء من ثقافتهم وقيمة من قيم الحياة البيئية، فهي "منهج تربوي يهدف إلى تكوين الوعي البيئي من خلال تزويد الفرد بالمعارف والمهارات والقيم والاتجاهات التي تنظم سلوكه وتمكنه من التفاعل مع بيئته الاجتماعية والطبيعية بما يسهم في حمايتها وحل مشكلاتها واستثمارها استثمارا مرشدا ومستداما"[18].

إنها بهذا المعنى، دلالة على جعل المتعلمين يدركون أهمية المحافظة على الصحة، باعتبارها وسيلة للعيش التي ينبغي التعامل معها بنمط خاص، وعدم المساس بها أو تعريضها إلى الخطورة، وذلك من خلال تعزيز وتحسيس الوعي البيئي والصحي عبر الوقاية قبل العلاج، وهذا ما جعل الباحث

محمد صابر سليم يرى بأنها "جهد تعليمي موجه ومقصود نحو التعرف وتكوين المدركات لفهم العلاقات المعقدة بين الإنسان وبيئته بأبعادها الاجتماعية والثقافية والبولوجية والفيزيائية حتى يكون واعيا لمشكلاتها، وقادرا على اتخاذ القرار نحو صيانتها والإسهام في مشكلاتها، من أجل تحسين نوعية الحياة لنفسه ولأسرته وللمجتمع ثم للعالم ككل"[19].

وعموماً، يمكن القول، إن التربية البيئية

ثانيا: الأندية التربوية والمهارات الحياتية

مما لا شك فيه كون أن المهارات الحياتية هي نتاج تنمية وتطوير الفرد لمعظم ما تعلمه في الحياة، أي أن هذه المهارات لا تخضع لمنطق التعليم النظامي بقدر ما تتصل بشخصية الفرد في علاقته بذاته وبالآخرين في مختلف المواقف التي سايرت حياته بشكل عام، وهو ما يدل على أنها لا تخضع لمضامين ومعارف بشكل منهجي في مؤسسة تعليمية أو في منظمة أو مجموعة تنظيمية محددة، وهو الأمر الذي يضعنا أمام موضوع لا يمكن حصره ضمن خانة المواد المعرفية التي تقدم على شكل دروس أو محاضرات علمية، بل هي مسألة تنمية مهارات حياتية ترتبط بالشخص ذاته أو في ارتباطه بنسج علاقات مختلفة مع الغير.

إنها ترتقي بالإنسان عبر الممارسة والفعل اليومي، ولعل اتصالها بالمؤسسة التعليمية فهي تحضر بشكل ضمني في التعلمات الصفية، كما أنها تنمى وتقوى بشكل واضح في مختف الأنشطة غير الصفية والتي تمثل الأندية التربوية واحدة منها، وهنا ينسج عن هذا ذلك التفاعل والتواصل الأفقي متعدد المسارات بين المتعلم ومختلف المهتمين بالشأن التربوي، وهنا نورد ما يحدث داخل فضاء النادي التربوي المدرسي من (نقاش ثنائي، وعمل ضمن فريق تعلمي من التلاميذ من ناحية وبينهم وبين القائمين على الأنشطة التربوية، أو عن طريق نقاش جماعي حول موضوع أو نشاط ما...). وضمن هذا الإطار يمكن للأندية التربوية أن تلعب دورا مهما عبر مسلكيات متعددة يمكن طرحها على الشكل الآتي:

أ. **العمل وفق تنويع تقنيات التنشيط وخلق جسور للتواصل بين المتعلمين**، ومختلف الأطر التربوية والإدارية داخل الفضاء المدرسي، بحيث إن اشتغال النادي التربوي على أنشطة متنوعة ومختلفة وفق أساليب متنوعة من شأنه أن يمنح للمتعلمين لعب أدوار متنوعة ضمن الأنشطة المعروضة ضمن الفريق الذي يسهر عليه المنشط التربوي للنادي، وهذا ما سيمنح من زيادة الثقة في صفوف المتعلمين، وزيادة تطويرات المهارات والقدرات التنافسية وإذكاء روح التأثير والتأثر بينهم.

كما تسمح هذه العمليات المتنوعة في مسألة التنشيط داخل النوادي لخلق مجالا للتفاعل والتواصل، وتمكنهم من تنمية مهاراتهم المتصلة "بكيفيّة الإعداد له وتنظيمه، ومباشرة النقاش حول القضايا المشتركة التي تجذب انتباه المتعلّمين وتعويدهم أثناء النقاش بضرورة الالتزام بموضوع الحوار وعدم الخروج عنه إلى قضايا هامشيّة وثانوية"[20].

إن الغرض من هذه الإجراءات التواصلية التي تشتغل عليها الأندية التربوية، تكمن أهميتها في المساهمة الفاعلة في تنمية مهارات التواصل الفعّال والتفكير الناقد بطرق أكثر فاعلية، وذلك لكونها تعتمد على طرق الممارسة الفعلية عبر الحوار والتجريب والنقاش ومواجهة الخوف والارتباك، الشيء الذي يسمح للمتعلمين من توطيد العلاقات بينهم وبين المعارف التي اكتسبوها في علاقتهم بالحياة الاجتماعية بصفة عامة عندما تواجههم مواقف خارج المؤسسة المدرسية، ولكي يتحقق هذا الأمر بشكل فاعل وجب الانطلاق من ذات المتعلم، وهو الإجراء الموالي في تنمية المهارات الحياتية.

ب. **تمكين المتعلمين من الاعتماد على الذات في تنمية مهارات البحث الذاتي:** تظهر الحياة اليومية للمتعلمين حجم الصعوبات التي تواجههم في الواقع لما يتعلق بالأمر بالحياة المختلطة مع الأفراد، لدا على المؤسسة التربوية عبر أنشطتها التي تسهر عليها الأندية التربوية أن تسهم في جعل المتعلمين يدركون ذواتهم، وأن تساعدهم هذه الأنشطة على اكتساب مهارات التفاعل والتواصل الذاتي بشكل ملائم، خاصة وأننا نعيش اليوم في عالم من التغيرات والتحولت على مستويات عدة من شأنها أن تؤثر في المتعلمين، لذلك فم الأهمية الاشتغال على توجيه الأفراد داخل المؤسسات التعليمية بموازاة الأنشطة التي تقدمها نحو التركيز على مصادر البحث الموثوقة انطلاقا من ميولات ورغبات المتعلم نفسه وليس بالاعتماد فقط على المصادر الخارجية. لذا فإن الاشتغال على تلك المهارة وتنميتها يتطلبان من النادي التربوي مساعدة المنتمين إليه على تنمية قدراتهم البحثية فرديّا وجماعيا.

ت. **ترسيخ مبدأ الاشتغال ضمن فريق عمل جماعي:** إذ يمكن هذا الأمر فئة عريضة من المتعلمين من ضمان المشاركة الجماعية مع باقي الزملاء من نفس الجنس والفئة، كما أنه انتصار للعمل المتمركز على الذات لوحدها، وهنا يكمن روح العمل المشترك المثمر بطبيعة الحال عبر التدخل البيداغوجي والمهني للمدرس أو من يقوم بمهام التنشيط، كما أن أهمية العمل الجماعي أثناء القيام بأنشطة تربوية في النادي داخل المؤسسة التعليمية ينمي مجموعة من المهارات ويطور أخرى ويصوب تلك الي عتريها شوائب، فعن طريق هذه العمليات يتحقق لدينا في صفوف غالبية المتعلمين مهارات التواصل الفعال وتصير لديهم القدرة على الإصغاء إلى الآخر والتفاعل معه، وخلق نوع من الحوار المبني على الحجة والبرهان.

إن أنشطة النادي التربوي في هذا الجانب تشجع على الالتزام والتشبع بروح الجماعة، وتقبل الاختلاف والرأي الآخر، كما أنها تعطي تقديرا للذات الفردية والجماعية نتيجة لما يمكن أن تعطي من أفكار جديدة حول المواضيع المناقشة أو التي بصدد الحديث عليها في إطار جماعي بين المتعلمين، ولعل ما يزيد من شأن جودتها ما يقوم به المنشط التربوي الذي يعمل على تنمية مهارات حياتية "متعددة الجوانب والغايات، عظيمة الأهمية وشديدة الأثر في المساهمة في تكوين شخصيات التلاميذ والكشف عن مواهبهم وقدراتهم واستعداداتهم الشخصية مع الحرص على تكوين الصفات والعادات الحميدة والأخلاق الكريمة وترسيخ روح التسامح والمودة والتعود على تبادل الآراء والأخذ بأفضلها دون التعصب للرأي الشخصي"[21]. فأنشطة النادي من هذا المنطلق، تمكن من تنمية مهارات الفرد لا كذات مستقلة وإنّما كعضو في فريق، وهذه العضويّة تتطلّب منه الموازنة بين الحق والمسؤوليّة.

فعلى مستوى المعارف يحتاج المنشط إلى الإلمام بالمعارف المطلوبة لتنمية المواقف والاتّجاهات المدنيّة لدى المتعلّمين، والتي ستكون موجّهة لسلوكهم وتصرفهم في علاقتهم بالآخرين وببعضهم البعض سواء أكانوا في الفضاء المدرسيّ أو خارجه. بمعنى أن المنشّط يحتاج إلى معارف محينة وموثوقة تتّصل بالقضايا مدار اهتمام النادي، "بأن كل نظام مدرسي يتسم بسمة المجتمع الذي أنشأه، وهو منظم حسب مفهوم التصور المعطى للحياة الاجتماعية، ولدواليب الحياة الاقتصادية، والروابط الاجتماعية التي تحرك هذا المجتمع. ولهذا، حلل علماء الاجتماع بصورة مباشرة أو

غير مباشرة الصلات بين العلاقة التربوية والنظام الاجتماعي، نظرا لأنهم يعدون التربية بمثابة مؤسسة، مهمتها تكييف الشباب مع حياة الجماعة بواسطة إجراءات معقدة الاستنباط"[22]

إن الانخراط في التنشيط التربوي داخل الأندية التربوية في فضاء المؤسسة التعلمية، يقتضي تملك جملة من المهارات والقدرات في صفوف المدرسين والقائمين على مثل الأنشطة، وذلك لكون المتعلمين بدورهم يتسمون بالعديد من المقومات النمائية التي يوظفونها أثناء القيام بأعمال تربوية في الحياة المدرسية للأندية التربوية التي ينتمون إليها، فالمدرس أو المنشط مطلوب منه أن يتسلح بالأدوات المعرفية والمنهجية والسيكولوجية والتربوية والإدارية أحيانا للتعامل مع فئة متجانسة أو مختلفة عمريا وجنسيا في عمله التنشيطي فضلا عن تملّك حقيقيّ للمهارات الحياتيّة بمختلف تمظهراتها التربوي،. ولذلك نجد هنا الدكتور والباحث التربوي أحمد أوزي يقول : "إن نوعية الحياة في المدرسة رهين بجعل التلاميذ ينخرطون بشكل عملي في حياة مؤسستهم، بهذه الكيفية يغدو كل تلميذ مكلف بتقديم خدمة لمجتمعه أو الجماعة التي ينتمي إليها. كما ينبغي وموازاة ذلك، أن يقوم بنشاط مدرسي، كأن يكلف بمجلة الفصل، أو إذاعة المدرسة، أو الحديقة، أو أحد نوادي المدرسة، إلخ. فالمهم هو جعل التلاميذ ينمون بعض الإمكانات التي تجعلهم يمتلكون سلطة، مهما كانت ضعيفة"[23].

واستنادا لهذا الطرح الذي ذهب إليه الباحث التربوي أحمد أوزي، يمكن القول على أن تنمية المهارات الحياتية مقترن بالحياة الاجتماعية للمتعلم التي ينخرط فيها بالدرجة الأولى المعلم، إذ بفضله يكتسب المتعلمون ثقة في ما هو موجه إليهم، كما أنه لا ينبغي الاقتصار معهم على التعلمات الصفية المرتبطة بالمناهج والبرامج التعليمية، بل المشاركة في الحياة المدرسية قصد استثمارها في الحياة الاجتماعية، وبهذا يفهم على أن المنشط التربوي في النادي المدرسي هو مثال للإشراف والقيادة والتوجيه والإرشاد نحو تقويم السلوك غير السليم، وتطوير القدرات الذاتية والمهارات المكتسبة، مع ضرورة منح الفرص أمام جميع المتعلمين للمشاركة في الحياة العامة للمؤسسة، أي بمعنى القطع مع "مصادرة حرية التعبير والنقاش واقتصار دور الطالب على الاستماع وتلقي ما يلقنه المعلم"[24]، بل ينبغي مساعدة كل تلميذ الإحساس بمعنى للحياة وهو فرد في المؤسسة وخارجها، إذ "ينبغي تحفيز كل تلميذ على إدراك ذاته والوعي بسلوكه، والتعود على الإنصات، وتأكيد الذات والقدرة على تدبير النزاعات، وعلى المدرسة أن تخصص لتلاميذها أوقاتا لتأمل مختلف المواقف التي يتصرفون فيها ويتم خلالها توضيح القيم أو مناقشة وجهات النظر للوصول إلى اتفاق يحظى بقبول الجميع"[25].

ثالثا: الأندية التربوية والوعي البيئي والصحي

تدخل ضمن إطار الحياة المدرسية التي تحمل ما يتعلق بالأنشطة المدرسية الصفية وغير الصفية التي يتلقها المتعلم، على اعتبار أنها تمثل "الحياة التي يعيشها المتعلمون في جميع الأوقات والأماكن المدرسية (أوقات الدراسة والاستراحة والإطعام...، الفصول والساحة والملاعب الرياضية، ومواقع الزيارات والخرجات التربوية...)، قصد تربيتهم باعتماد جميع الأنشطة الدينية والتربوية والتكوينية المبرمجة، ولا سيما التي تراعي الجوانب المعرفية والوجدانية والحس حركية من شخصياتهم، مع ضمان المشاركة الفعلية والفعالة لكافة مكونات المجتمع المدني (متعلمون، مدرسون، إدارة تربوية، أطر التوجيه، آباء وأمهات، شركاء المؤسسة...)"[26].

إن التربية هي التي تجعل من الناشئة محافظة على العالم البيئي والذي بهم يمكن أن نضمن الاستدامة. وذلك عبر دور المدرسة والأستاذ الذي يسهر في الغالب على النادي التربوي في تجسيد الحس البيئي والصحي في أوساط المتعلمين، وهذا ما عبر عليه إلياس الشويري، إذ قال "تحتل المدرسة مكانة هامة في مجال تنمية الوعي البيئي بحيث تعكس الحاجات الاجتماعية للبيئة، وتحاول إكساب الطلاب العادات السليمة والاتجاهات والقيم التي تحقق حماية البيئة والمحافظة عليها وصيانتها. ودور الطلاب في حماية البيئة يبدأ من حمايتهم لمدرستهم، ما يتطلب مجموعة من الممارسات اليومية مثل، المحافظة على نظافة المدرسة وصيانة مرافقها، والنهوض بها والحفاظ على البيئة المجاورة لها.

وفي هذه الحالات جميعها ينبغي أن يكون تعليم المعرفة والمهارات والاتجاهات عملية متكاملة. "ومن نماذج التربية البيئية التي يمكن أن يدور حولها بعض النشاطات في مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي مثلا، وحدات تتخذ عناوين ومواضيع تدور حول «دور المدرسة»، «التخلص

من النفايات»، و«ما هو أحسن نوع من الوقود». وعندما يرتبط التعليم بالعمل والنشاط في هذه الوحدات، يكتسب الطلبة مهارات نظرية وعملية تبقى معهم ويستخدمونها في حياتهم تجاه البيئة"[27].

بما أن المتعلم هو محور العملية التربوية، يرى أحد الباحثين (محمد بهاوي) بأن "تفعيل أدوار الحياة المدرسية ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار رغباته وتحوّلاته ومشاكله وهمومه لأنه دون ذلك ستظل المدرسة مجرد فضاء يلجأ إليه المتعلم، نظرا لعدم وجود بديل عنها. وقد تمّ الانتباه مؤخّرا إلى المشاكل التي تنجم عن عدم جعل المدرسة فضاء مفتوحا يستجيب لمختلف رغبات المتعلّم من خلال التشديد على ضرورة القيام بأنشطة موازية، وإنشاء النوادي التعليميّة، إضافة إلى تخويل المؤسّسات صلاحيات تكوين مجلس للحكماء، مهمّته الإصغاء لمختلف مشاكل المتعلّمين"[28].

يظهر هنا أهمية الحياة المدرسية عبر الأندية التربوية وأنها لا تقل أهمية عن تلك الأنشطة التعليمية التعلمية داخل الفصول الدراسية، حيث إن "زمن القسم هو غير زمن ساحة المدرسة/ المعهد، فالأوّل زمن للتعلّم، والثاني زمن للحريّة أي لممارسة أنشطة من المفترض- في ذهن التلميذ- أن تكون مستقلّة تمام الاستقلال عن عالم القسم"[29]، وبالتالي، يجوز القول، إن الأندية التربويّة وسيلة لمنع القطيعة بين أزمنة المدرسة وأنشطتها، أي منع القطيعة بين ما ينجز في الفصل وما يتمّ خارجه. ووفق هذا المعيار فإنها تعلب أدوارا هامة في علاقتها بالمجتمع المدرسي، من قبيل تطوير الوعي الصحي في صفوف المتعلمين، خاصة وأن "الأنشطة الصحية تسعى إلى ضمان صحة جسمية ونفسية وعقلية للمتعلمات والمتعلمين، تمكن من خلق ظروف أمثل لتتبع تعليمهم وتربيتهم، من خلال تتبع صحة المتعلمين وتقديم خدمات صحية لهم داخل المؤسسة أو في مرافق صحية خارجية، بالإضافة إلى إنجاز برامج تربوية تهدف إلى تنمية وعيهم بأهمية الصحة وسبل المحافظة عليها، ووقايتهم من الأمراض والآفات، كل ذلك مع جعلهم نشيطين ومساهمين فعليين في تنمية الوعي الصحي لزملائهم وعائلاتهم"[30]

تنفتح المؤسسة التعليمية على محيطها في شتى المجالات من خلال الخرجات الميدانية التربوية بمختلف قضاياها البيئية والثقافية والعلمية التي يقوم بها أعضاء الفريق التربوي بمعية التلاميذ، العمل على تفعيل أنشطة الأندية المدرسية في المؤسسة يعمل على تحديد القيم حول الأفكار والأشياء والأشخاص، إذ تسمح الزيارات الميدانية الخارجية أو الوافدة على المؤسسات للمتعلمين من التعرف على المحيط البيئي بشكل مباشر، حيث "تسعى المدرسة إلى تنمية الوعي البيئي لدى التلاميذ، "ما يسهم في تحقيق صالح أفراد المجتمع ورفع مستويات معيشتهم من ناحية، وفي حماية وصيانة البيئة من ناحية أخرى."[31] ومنه تتشكل لديه أفكار ومعلومات حول هذه الأشياء التي يريدها، وهو الأمر الذي يساعده على اختياراته الدراسية، إذا تعلق الأمر بالاهتمام ببعض التخصصات البيئية مستقبلا، كما أن تجارب أشخاص آخرين تمنح التلميذ هامشا من التفكير وإعادة التفكير في اختيار المسار الدراسي الذي سيؤدي إلى المهنة التي يتعرف عليها التلميذ في الخرجات العلمية التي تقوم بها الأندية التربوية المدرسية.

وينبغي أن تسهم المدرسة في تزويد التلاميذ الأساليب التي يحتاجون إليها في دراستهم البيئية، وتعلمهم كيفية اتخاذ قرارات مناسبة بشأنها، وذلك عن طريق اشتراك المعلمين والطلاب في عملية تحليل البيئة التي يعيشون فيها، وتحليل الاتجاهات الاجتماعية والثقافية والأنشطة الاقتصادية التي تؤثر فيها وفيهم، ومن خلال ذلك يمكن للطلاب أن يتحكموا في أساليب الاستخدام العلمية التي سوف يمارسونها أو يحتاجون إليها من أجل تحسين طبيعة البيئة التي يعيشون فيها.

ومن أجل تثبيت العمل وترسيخه لدى الطلاب، وذلك عبر الوسائل و "أدوات للتعلم التي تساعد في الحصول على خبرات منوعة لتحقيق غايات وأهداف معينة وهي ليس بالمواد الثانوية أو الإضافة(..)والمقصود هنا كل الأدوات التي يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعلم، وتوضيح المعاني

والأفكار أو التدريب على المهارات أو تعويد التلاميذ على العادات الصالحة التي تنمي اتجاهاتهم، وغرس القيم والثقافة البيئة المرغوب فيها والتي تعمل على نشر الوعي البيئي"[32]

خلاصة:

عموما يمكن القول، إن طبيعة الحياة المدرسية التي تمارسها الأندية التربوية في المؤسسات الابتدائية، الإعدادية والتأهيلية، تعد مكونا أساسيا في بناء شخصية المتعلم دراسيا ومهنيا وحياتيا، على اعتبار أنها تقدم أنشطة معززة ودافعة لتقوية فعل التعلمات الصفية ومختلف الأنشطة التعليمية التعلمية التي يكتسبها المتعلم في حياته المجتمعية كذلك. وهنا يمكننا التصريح كون إن الأندية التربوية تحاول أن تكون جسرا لتنمية الكفايات المدرسية والتوفيق بين ما هو نظري وتطبيقي للمتعلمين، الشيء الذي يكون له انعكاس إيجابي عليهم خاصة إذا كانت طبيعة الأنشطة التربوية تعبر عن رغبات وميولات المتعلم بشكل خاص، ولكن شريطة أن يكون هناك عمل منظم يقوده الفريق التربوي بقيادة مشتركة بين الإدارة وهيأة التدريس والمختصين في الشأن التربوي، وهو ما يسهم في تنمية المهارات الحياتية، إذ تمثل في هذا الجانب التربية الصحية والبيئية المدرسية عن طريق الأندية التربوية خاصة تلك التي تعتني بالجانب البيئي واحدة من ممارسات الحياة المدرسية بشكل عام.

الهوامش:

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج6، مادة درس، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ، ص4991.

[2] - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص 279-280.

[3]- Emil Durkheim, l'évolution pédagogique en France, 2éme édition, PUF, Paris, 1969, p398.

[4]- Emil Durkheim, l'éducation morale, PUF, Paris, 1992, p12.

[5]- Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, Les héritiers : les éétudiants et la culture, Paris, Les Editions de Minuit, coll. «Grands documents» no18, 1974, p183.

[6] – جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، مراجعة محمد ناصر، منشورات دار مكتبة الحياة، ط2، بيروت-لبنان، 1978، ص31.

[7]– المجلس الوطني لحقوق الإنسان (المغرب)؛ التربية على المواطنة وحقوق الإنسان: فهم مشترك للمبادئ والمنهجيّات، دليل الأندية التربية على حقوق المواطنة وحقوق الإنسان، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، الرباط 2014، ص 13.

[8] – وزارة التربية والتكوين (الجمهوريّة التونسيّة)؛ الأمر المنظّم للحياة المدرسيّة، الأمر عدد 2437 المؤرّخ في 19 أكتوبر 2004، الفصل الأوّل

[9] – عبد الرزاق المصباحي، الأنشطة المندمجة وبناء الدافعيّة داخليّة المنشأ: تجارب عالميّة ومحليّة، ضمن مؤلف جماعي بتنسيق، الزهرة إبراهيم وعبد الله الحميمة، الدافعية داخلية المنشأ: وسائل التعليم والتعلم في المدرسة العمومية المغربية، مطابع الرباط نت، الرباط، 2018، ص 177.

[10]– محمد عودة الريماوي، علم النفس الطفل، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمّان الأردن، ص 180، ورد عند مختار غريب وجلول قوادري؛ المهارات الحياتيّة المتطلّبة في بناء المشروع الشخصي للتلميذ؛ مجلّة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مجلّد 02، عدد03، السنة 2019، ص149

[11] – محمّد إبراهيم عبيد، التعليم وتحديات المستقبل، علم النفس، العدد (111)، أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر 2016، ص19

[12]- Bonnin (F) & alt., Développer les compétences psycho-sociales : un outil au service du formateur, Collège Régional d'éducation pour la Santé de Champagne Ardenne, 2002, p13, sur le site : www.preventionsuicidemanche.fr

[13]- Ghrissi (A) & Milliti (I), Développer les aptitudes à la vie quotidienne chez les adolescents et jeunes tunisiens, Tunis, UNICEF, 2014, p39

[14]- Ghrissi (A) & Milliti (I), Ibid, op, cit, p39

[15]- LAFON Robert, Vocabulaire de psychologie et de psychiatrie de l'enfant, Presses universitaires de France, Paris, p768

[16] – أحمد بن جمعة بن خلف الريامي، إعداد المعلمين في سلطنة عمان، تحديات العولمة والتربية السياسية والبيئية، عالم الكتب، جدارا للكتاب العالمي، أربد، الأردن، 2009، ص154-155.

[17] – عبلة غربي، التربية البيئية في المدارس الابتدائية من وجهة نظر المعلمين، مدارس مدينة قسنطينة نموذجا، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة متنوري قسنطينة، الجزائر، 2008-2009، ص8.

[18] – سناء محمد الجبور، الإعلام البيئي، دار أسامة، عمان، الأردن، 2011، ص18.

[19] – عبلة غربي، التربية البيئية في المدارس الابتدائية...، مرجع سابق، ص13.

[20] – عبد الله لحميمة؛ التعلّم بالحوار، ضمن الزهرة إبراهيم وعبد الله الحميمة (تنسيق)، الدافعيّة داخليّة المنشأ: وسائل التعليم والتعلّم في المدرسة العموميّة المغربيّة، مطابع الرباط نت، الرباط، 2018، ص188.

[21] – ماهر الجويني، المعلم ودوره في التنشئة الاجتماعية، أبحاث ودراسات تربوية، العدد الثالث، السنة الثانية، صيف 2016م – 1437 هـ، ص173

[22] – مارسيل بوستيك، العلاقة التربوية، ترجمة محمد بشير النحاس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1986م، ص19.

[23] – أحمد أوزي، بيداغوجيا فعالة ومجددة، كفايات التعليم والتعلم للقرن الواحد والعشرين، منشورات مجلة علوم التربية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، 2017، ص136.

[24] – يزيد عيسى السورطي، السلطوية في التربية العربية، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة عدد362، 2009، ص40.

[25] – أحمد أوزي، بيداغوجيا فعالة ومجددة...، مرج سابق، ص136.

[26] – المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، دليل الحياة المدرسية، مديرية الحياة المدرسية، دجنبر 2019، ص9.

[27] أحمد محمد موسى، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة. المكتبة العصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007. ص 112

[28]– محمد بهاوي، الحياة المدرسيّة ودور الأنشطة الموازية والداعمة في ترسيخ السلوك المدنيّ، عالم التربية، عدد21، 2012، ص371

[29]– محمد بالراشد، الحياة المدرسيّة، أي دور لخريجي علم الاجتماع في تأطيرها؟ المقدمة، عدد2، 2008، ص 179.

[30] – المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية...، دليل الحياة المدرسية، مرجع سابق، ص31.

[31] إلياس الشويري، منشورات مجلة الجيش، مسؤولية المؤسسات التربوية والتعليمية في قضايا البيئة. عدد250، أبريل، 2006، ص 42

[32] عبلة غربي، التربية البيئة في المدارس الابتدائية...، مرجع سابق، ص 75